اللصّ !..

قصّة جديدة بقلم علي بدّور

أحس وكأن عشرة عقارب ، تلدغه في أمكنة عديدة من جسده التعب : إنها ولا شك ، آلام شديدة لزمته بعد أن غامر ليلة البارحة ، مغامرته الجنونية ، وبعد ان استهتر بكل شيء.. حتى بحياته ، ولكن ما ارخصها من حياة ، فرغت معانيها من الحب والعطف ، ومن الكرامة والاعتبار !

واراد ان يفتح جفونه الاربعة ، دفعة واحدة ؛ ولكنه لم ير النور إلاّ بعينه اليمنى فحسب .. فمدّ يداً مذعورة الى عينه اليسرى ، يتلمّسها باناملها الخمس ، فشعر انها اكبر مما عهدها .. انها منتفخة كخوخة لوحتها الشمس بعد ان اسقطتها الريح . واشفار جفنيه ، لم تكن كاشفار الجفون ، انها اليوم طويلة غليظة مترابطة فيما بينها كأنها اوتار مرنة قد قدت من فولاذ مرن . واستطاع اخيراً ان ينهض من الفراش ، نهضة فاترة ، ومشى محني الظهر يكاد الألم يصرعه .. وهو يتساءل : كيف استطاع ان ينام وهو يتألم مثل هذا الألم ، ويصبر على تلك الاوجاع التي لم تمسّ جسد انسان قبله قط ؟!

ووقف امام مرآة مكسورة تلمع لمعاناً شديداً ، نتيجة انكسار بعض اشعة الشمس عليها ، وحدّق في المرآة ليبصر بعينه اليمنى.. فماذا أبصر ؟ ان عينه اليسرى لا يمكن ان تعود سيرتها الاولى ، دون بعض الاسعافات الاولية ، منها ، هذه المنشفة التي يجب ان تغمس اطرافها في الماء ، ليمسح بها اقذار العين التي كانت الى الامس جد نظيفة ، وعلى حد كبير من الصفاء والبهاء .. ومد يداً وانية الى المنشفة وبلل اطرافها ، وأخذ يمسح عينه بهدوء رفيق ، ولكنه على الرغم من ذلك ، فقد شعر وكأن مئة دبوس تنخزه في البؤبؤ ، دون ان تثني أو تحيد .. انه حتى الان لم يرفع رأسه جيداً ، ولم يحاول جاهداً أن ينظر الى عينه المصابة ، نظرة فاحص خبير ! ورفع رأسه بتحد ظاهر ، وثبت نظرته في المرآة بمسمار مكين .. فأبصر بعينه السليمة ، عينه المريضة ، وكأنها كتلة من اللحم الاحمر ، مشقوقة الوسط يكاد الدم أن يسيل منها لولا انها بلا دم على التخصيص .. وهالته قليلاً هذه الحلقة الخضراء التي تحيط الورم المحمر . انها بضعة ألوان ، مازال ينقصها بعض الألوان الأخرى ، لتؤلف قوس قزح .. ولكن على عين انسان يحترق بدون دخان ، ويذوب دون ان تقطر منه قطرة واحدة !!

واستدار بسرعة متجهاً نحو الفراش ، وترنح عليه ، خافق القلب ، تتفصد جبهته عرقاً غزيراً .. وكل جارحة من جوارحه ترقص مذبوحة من الألم ، وانفاسه العجلى تكاد تقول لكل عضو مصاب ، وجارحة مصابة : صبراً .. صبراً !

ان هذا السقف الذي يفرش نظراته عليه .. ما زال هو هو لم يتغير منذ أن رآه لاول مرة منذ خمس سنوات ، كانت كلها سنوات عجافاً .. باردة ، كثر فيها الافلاس والجوع.. وقلّ كل شيء حتى رحمة الله !!

كان قد ترك المدرسة منذ ست سنين ، على الرغم من انه دخلها متأخراً ، فقد ترك المدرسة ، أو انه اذا قال الحقيقة قد فصل عنها ، لان أباه ، لا يؤمن بالعلم ، ويعتقد انه طريق ممهدة للمحارم ، والاخلاق الفاسدة ، والعواطف المريضة ، على الرغم من رغبة جده في أن يتجه الى الازهر .. ولكن سلطان ابيه كان عليه عظيماً ، بحيث لم يعد باستطاعة احد — سوى أبيه — ان يسطر مع القدر في صفحة حياته أي سطر جديد . وكان قلبه منذ صغره ، مفعماً بالاحلام ، وحلاوة الايام المقبلة التي سوف يقضيها في فرنسا — التي سمع عنها كثيراً من استاذه — لدراسة الطب بعد ان ينال البكالوريا ، عساه ينتصر ويفخر هو بنفسه ، ويفخر به بنو قومه .

ثم جاء ابوه هذا الظالم الظلوم ، فخرب له ما بناه من احلام ، وعبث بما كان يعد نفسه من اجله منذ اليوم الذي اعتقد فيه انه بالغ غايته لا محالة . فقد قاده هذا الاب — وكلما بعد عنه يوماً ، قرب منه كرهاً له وحقداً عليه ، وشماتة به — ليعاونه في الدكان التي كرهها كثيراً ، وكره ان يبيع من الناس ما عنده من اقمشة واجواخ .. وهي مهنة لا يراها مناسبة لما في رأسه من علم ، وما في قلبه من حلم ، وما على وجهه من وقار ، لا يليق إلا بالعباقرة والموهوبين !

ومر ربيعه الخامس عشر ، مرور الخريف على قلبه .. مات جده في ذلك العام .. وعلى الرغم من مضي خمس سنوات على تاريخ الوفاة ، فانه يشعر انه ينام وجده في القبر معاً .. ذلك الجد الذي كان رجلا طيباً ، وهو الذي اراده ان يتجه الى

الازهر ليدرس علوم الدين ، ويتفقه فيها تفقهاً حسناً . فهو كان يريده ان يتعلم ولو علماً قد لا يتفق وما كان يعتقد انه مناسب له .. هو يريد ان يطبب الاجساد ، وجده يريده طبيباً للنفوس والارواح !.

ومشى الى المقبرة لأول مرة في جنازة ميت من عائلته .. وتكشف له الموت عن حقيقته القاسية ، ومخالبه الدقيقة ، وانيابه العصل ، واسلوبه الماكر في اقتناص ارواح الناس ؛ مرة ، ينذرهم ويحذرهم ويمهلهم ، ومرة يأتيهم على حين غرة . وما ان عاد من المقبرة حتى نبتت في قلبه شجرة سمقت نحو السماء ، وأثمرت لساعتها ثماراً سامة ، بعضها وساوس ، وبعضها هواجس ، وما تبقى ، عواطف قلقة ، تتقاذفها عقول المراهقين ، وقلوبهم ، بنهم وشراهة !

ثم ائتلفت عوامل عدة على ابيه ، لتقعده عن السعي ، فركب رأسه ، وأخذ يقامر برأس ماله الصغير في « البورصة » تاركاً دكانه لابنه . ومر ذلك العام على الريف ، ولم يحصد اهله سنبلة ، وأكل الجراد مزروعات الصيف ، بما فيها القطن ، فحصلت أزمة عمت المدينة ، بعد ان عمت الريف ، بسبب عدم الاقبال على الشراء .. وما هو إلا صباح لا شمس فيه حتى كان ابو سامي مفلساً ، وكان سامي طريداً من الدكان الى الشارع .. لقد خسر اكل شيء .. من المال الذي كان بين يدي الاب .. الى الاقمشة والاجواخ التي كانت على الرفوف .. الى المناضد المغطاة بالبلور الشفاف الفاخر ، وحتى الكرسي الذي كان يجلس عليه سامي ، قد اخذه الدائنون مع ما اخذوه. ولم تكن هذه الفاجعة لترحم وتبر رجلاً احمق مثل ابي سامي ، فقد دفعته دفعاً اعمى الى الجنون ، ثم الانتحار باسلوب فظيع ! فقد القى بنفسه في البئر .. وبئر الدار التي يسكنونها ، ذات مياه عذبة وباردة ، ايضاً .. ولكن هذه العذوبة وتلك البرودة ، لم تخففا من غليان دم أبي سامي درجة واحدة ، فغصّ بالماء العذب ، غصات قليلة ؛ ثم مات غرقاً بعد ان مات فرقا .

ومشى سامي الى المقبرة ، مرة ثانية ، وهو وحيد ابويه . كان وهو يمشي خلف النعش ، يشعر ان الجثمان الذي فيه ، إنما محمول على كتفيه . وامتدت الشجرة التي اخذت تورق منذ هو وفاة ابيه ، فغطت اغصانها على باصرتيه ، وحجبت عنهما نور الشمس وضياء القمر ، وبهجة العمر الذي يراه بعيني شاب صغير لمّا يتجاوز حدود السنّ البريئة .

وعاد من المقبرة ، ووجه الموت الاسود ، يزداد حلوكة ، ويده الجبارة تمتد في السماء كأنما تريد ان تلمس اذيال ثوب الله ، ضاربة طوقها الجبار على كل المخلوقات .. الافكار نفسها التي راودته عند وفاة جده ، عادت تراوده يوم وفاة ابيه .. انه يخاف من الموت ويخاف حتى من حروف « الميم ، والواو ، والتاء » التي تكوّن حقيقته الحسية في الآذان ، وتعلن اعلاناً فحسب ، عن معناه الحقيقي الذي تفهمه القلوب دون خفق بالغ ، وتبصره العيون حتى في الظلمة الحالكة ، وتدركه العقول ببداهة وفطرة ، اصيلتين .

وعز على امه المفجوعة بزوجها ، كما عز عليه ايضاً ، ان يظلّ في الدار التي مات فيها ابوه منتحراً ، والبئر الملعونة ، ما تزال قائمة ولاسبيل الى محوها ابداً . وإذا امحت من الارض فهل تمحي من الذاكرة ، تلك الصورة البشعة لنهاية رجل احبه بعض الناس ، وكرهه بعضهم ، وكان وسطاً بين الاعلين والادنين ..

ماذا يريد ان يصنع ؟. لا يدري وكذلك امه لا تستطيع ان تدري .. انه لم ينل حتى الشهادة الابتدائية ، ليكون حارساً ، أو شرطياً أو آذناً ، أو أي شيء .. ولكنه لو حمل هذه الشهادة الحقيرة بالذات ، لما استطاع ان يكون موظفاً من موظفي الدولة ، في احدى الوظائف التي عددها ، بالقياس الى سنه ، فهو لم يبلغ الثامنة عشرة بعد ، وعمره الحقيقي دون ذلك على التحقيق .

ان جسده يشتعل منذ عام مضى .. لقد اصبح رجلًا .. وإن كان يعيش بنفسية المراهقين .. وهذه جارته الفتاة التي تحترق ببطء الى الرجل المشتهى ، ترفع عقيرة المذياع كلما اذيعت اغنية : « أحبك واحب دلالك يا حلو » . ولكنه لا يترك لغريزته اية فرصة ، لتطل برأسها ، لاعتقاده ان الغريزة إذا اطلت برأسها من نافذتنا كبشر ، فقد حجبت كل الرؤوس الاخرى ، التي تعبر عن ملكات الانسان الفكرية ، والعاطفية السامية ، وكل ما فيه من حنان وسمو وعطف ما بلغ الوصفُ حده .

انهم يعيشون اياماً تعيسة ، ببعض الدراهم التي ادخرتها امه في ايامها الماضيات ، وكذلك بما سقط في ايديهم من قيمة متاع المنزل ، من صوف وقطن ، كانا حشو المخدات والفرش ،

وبعض قطع السجاد العجمي بحيث لم يتركوا الا ما يلزمهم في الغرفة القائمة على سطح عمارة ذات خمس طبقات ومصعد كهربائي واحد .

انه يحب امه حباً لا حد له ، لا لأنها امه فحسب ، بل لأنها تملك ثروة لا بأس بها ما زال يتحرق لمعرفة كميتها بالضبط . فقد عودته قسوة الحياة ان ينافق وان يكذب وان يحقد ، وان يحب امه ما دامت تملك بعض المال ، وهو لا يدري ما هو فاعل بها غداً ، بعد ان كذب كثيراً على الزبائن في دكان ابيه ، ولكن ذلك كان كذب الرفاه . واليوم غير الامس عنده .

وبدأت الثروة تنضب حسب ادعاء امه ، وبدأ كسله يتعاظم .. بعد ما دار كثيراً على المخازن التجارية ومحلات النوفوته ، والمعامل ، ودور الشركات ، طالباً العمل . وابى الجميع قبوله ولو بنصف ما يأخذه اقرانه . واستمرأ الكسل وزاده الحقد على المجتمع قسوة على قسوة ، وامه تقتر عليه في مصرفه الشخصي ، وهو شاب قد تفتحت رغباته وشهواته جميعاً .. يريد كل شيء ولا يجد شيئاً . ولم تكن امه لتطمئن الى تسليمه المال كاملاً يعمل به .. ولا هو بالقادر على ذلك ، او الراغب فيه .. وكأنه وامه من الذين يعتقدون ان خزن زيت الارض في موسم ما ، كفيل باطعامهم زيتاً ابد الدهر ، وان تملك سبع شجرات زيتون ، ليس بأفضل من كل ذلك الزيت المخزون . وفاتهم ان الزيت ينضب ، ولكن شجره في كل يوم من موسمه ، مثقل الاغصان موقرها .

ودفعه ذات يوم فضوله — ذلك الارث المشترك بين الناس جميعاً — لأن يبحث عن ثروة امه المسكينة ، فيكتشفها في قعر صندوق خشبي عتيق .. وحالما اطلع عليها .. مد يده ، متناولاً خمس ليرات ، دسها في جيبه ، ثم اعاد الصرة الى موضعها ، واسرع ليخرج من البيت ، مستفيداً من غياب امه .. وهبط سلم العمارة دون ان ينتظر صعود المصعد الكهربائي اليه ، لئلا يقرأ عامل المصعد على وجهه صفحة السرقة كاملة .. وكان منذ ان ترك الصرة في مكانها الى ان لامست قدماه ارض الرصيف .. يرتجف خوفاً مما فعل .. كان يعتقد ان كفه ستفصل عن زنده بعد برهات .. ان مثل هذا الاثم الفظيع ليس سهلاً .. وشهد سامي لتوه ، حبالاً غليظة ، وسواعد مفتولة ، تريد ان تطيح بتمثال مثاليته في حياة لا مثالية فيها . وكان التمثال مثبتاً بشرايين القلب واوردته ، وكانت السواعد القوية ، تجذب اليها هذا التمثال الذي يأبى ان يستكين ، ولكن التمثال اخذ يترنح شيئاً فشيئاً الى ان هوى ولم تتقطع نياط قلبه .. لان قلبه اراد ان يحيا ولو حياة فاسدة لا خير فيها ولا حب .

ودفعته غريزته دفعاً بلا بصيرة الى سوق النساء ، وبلا هوادة وبسرعة خرج من هذا السوق بعدما أفرغ سماً كاد يقتله ، في اجواف لا تقتلها السموم .. بل تحييها ! وترك الليرات الخمس وخرج مسرعاً الى البيت .. وكان وهو يصعد الدرج ، يشعر ان صدره قد اتسع ، وان ضلوعه قد استطاعت ، وانه اخذ ينتعش شيئاً فشيئاً ، حتى لكأن هذه الكمية من السموم التي طرحها الساعة ، قد يسرت لبعض الهواء النقي ، ولبعض الشعور الرضي ، ولبعض الغبطة الوارفة ، ان تملأ هذه القبة التي عمدها الضلوع ، فتسره سروراً بالغاً ، وتطربه طرباً شجياً . وكاد يعتقد لاول مرة ان في الحياة اشياء مجهولة لم يكتشفها بعد — وان كان قد كشف بعضها فسره هذا الكشف — قد لفها المجتمع بثياب الرذيلة والنار والعذاب النفساني والجسماني .. ولكنه لا يريد ان يرى هذا الرأي الآن . وكيف يراه ويأخذ به ، بعد ما لمس بيده المرتجفة ، اغواراً عميقة تتفجر فيها اللذة الصرف التي لم تشب بألم ، واحس بحرارة اعشاش دافئة قد فرّخ فيها الحمام وسجع !!

وتكرر اعتداؤه المستتر على الثروة المخبأة ، في كل يوم تقريباً ، والأم غافلة ساهية دون ان يفكر بالمستقبل المظلم الذي ينتظره ، ولا بهذه الثروة التي تنفد يوماً بعد يوم ، بتسلط لسانين عليها : لسان فمه ، ولسان غريزته .. وهو لم يقف عند هذا الحد . انه اراد ان يجرب كل شيء منع عنه ولم يذقه بعد .. فأخذ يدخن ، والتدخين ليس عيباً ، لأن كل الناس يدخنون وكذلك اخذ يشرب الخمر ، وشرب الخمر ليس عيباً كذلك ، لأن كل الناس يشربون . واراد ان يلعب الميسر .. أليس يريد ان يجرب كل شيء لمرة واحدة ؟ . وها هو يعاشر النساء ، ويشرب الدخان ، ويسقي الخمر بأيد ما لهن شكيمة .. وهو اليوم لم يبق له مما اشتهى سوى ان يلعب كذلك ليلة واحدة ، في الروليت ، في احد اندية القمار الليلية .. ولكن هذه الآلة الدوارة المجنونة لا تكتفي بمبلغ تافه ، كالذي يحمله من الصندوق بين اليوم واليوم .

ولمع بارق من جنون في رأسه، وظل يلمع منيراً له الطريق المظلم الى الصندوق.. انه يريد ان يأخذ الثروة الصغيرة كلها.. نعم كلها. انه سيربح ولا شك، وسيعود الى المدرسة .. اي مدرسة كانت ليدرس من جديد، وسيترك الدخان والخمر، ومعاشرة النساء، ورفقة ابنـــاء السوء من الغلمان. وسيترك الروليت كذلك. انه يريد ثروة محترمة، تكفيه مؤونة العيش الرافه، وتقيه وجوه اصحاب المحال الذين يرفضونه دائماً كأنه جبل من بصاق وليس من طين الله. انـه يريد ان يدرس من جديد، ويريد لامه حياة مديدة لا موت فيها لتكون بقربـه دائماً.. ويريد ان ينال البكالوريا ليذهب الى فرنسا، ويدرس الطب فعساه ان يكون طبيباً يخدم الانسانية، ويحسن الى البشرية بعامة ... وامتد حبل لا ينقطع من الاحلام والاماني كان طرفه الاول كيد بشرية غارت في الصندوق الخشبي، وكان طرفه الثـــاني ممتداً عبر الطريق حتى عنق آلة الروليت الدوارة. ولم يدرك سامي بالبداهة ان طرف الحبل الاول اذا جذب الثروة معه، فان هذا الحبل سيختنق على عنق الروليت من كثرة دورانه على نفسه دون تبصر أو اناة.

ولكنه سرعان ما دس الصرة كلها في جيبه، بهدوء مدهش ومضى كأنه الوقار يخطو وقد تسربل قلب انسان حي يعيش في مستقبله الابيض الحلو تاركاً حاضره لماضيه الكئيب. كان الطريق الموصل الى نادي القمار، قـد فرغ من اكثر المارة، وخفت زعيق السيارات، واطفأت انوار المحلات الكبرى الواح الدعاية المضاءة بالالوان الملونة المتنافرة والمتقاربة. وكان كل هذا الهدوء لا يستلفت نظره، لانه يتسربل هدوءاً أشف منه. فهو وإن تردد كثيراً بين أن يأخذ المال او يتركه، إلا انه بعد ما قرر الامر ومضى فيه، عاد اليه سكونه القديم وهو لا يختلف عن اكثر الذين يعزمون على ارتكاب جريمـة قتل.. فهم اذا قرروا هيأوا السلاح واعدوا لكل شيء عدته، وعادوا طبيعيين اكثر من الذين لم يقدموا على امر ولم يهيئوا لجريمة ما، اسبابها، فتلقفتهم العواطف والافكار، وخضتهم خضـاً، حتى جعلتهم مجانين بلا جنون، ومهووسين بلا هوس.

ودخل النادي دخلة المطمئن الى حسن المصير.. ان احلامه سوف يبنيها الليلة، لن ينتظر السنين الكثار لتبنيهـــا بتؤدة وبطء، انه يريد امثولته من البرق والزلزال، وانتشار الغيوم بسرعة، وانفلاقها عن صحو السماء.. ولا يريد هـذه الامثولة من جماعة النمل او جماعة النحل، مذابة في الصبر، مسكوبة في كأس بلورها من جلد وانتظار.

كان حول مائدة الروليت، سلسلة، جمة الحلـق، اكثرها نساء، مترفات انيقات جميـــلات، وما تبقى منها، كان من رجال اثرياء ومغامرين، ومتفرجين يذوبون ألماً لهذا المال الذي ينتقل من يد الى يد دون ان يمر في طريقه، عـــلى ايديهم.. وذاب سامي في السلسلة كأنه الحلقة الاولى التي صنعت، من حلقاتها، فلم يشعر به احد - على الرغم من ضيق المكان - لأن الجميع كانوا منصرفين بحواسهم جميعا الى اطار الروليت وهو يدور بجنون، وإلى الارقام المدرّجة على حلقـة ثابتة، وإلى الكرة الصغيرة التي تحصد وتزرع، وتغني وتفقر، وتكاد تحيي وتميت، في ضحك ممزوج بالبكاء، وهمس ضائع في تضاعيف صرخات كأنها عواء الكلاب.

وأحس كأن مياهاً باردة وحارة وفاترة، تتساكب من ميازيب عدة فوق رأسه، وفي غمرة الحماسة التي كان يبديهـــا

صدر حديثاً

الأنسان

ذلك المجهول

تأليف

ألكسيس كاريل

تعريب

شفيق اسعد فريد

منشورات

مكتبة المعارف في بيروت

اللاعبات واللاعبون استرد جرأته وجأشه واحتقاره للمال .. وما ان صاح قيم اللعبة مناديا اللاعبين إلى دور جديد ، حتى انتقى سامي رقماً بات لا يذكره الآن ، يحسبه ثمانية أو سبعة .. لم يعد يذكر شيئاً ، ان كل ما يذكره من الرقم : ساقيه .. كل ظنه ان ساقي الرقم كانتا مصوبتين نحوه ، أهي ثمانية اذن؟ أم انها سبعة بالقياس لمن وقف تجاهه ؟

ثم دارت الروليت دورتها البكماء ، وأحس بسكين حادة تدور معها ، ثم تنقذف تجاهه ، بينما الثروة التي آلت اليه بعد ان سرقها من الصندوق ، وابدلها بالفيش ، تذوب في تضاعيف هذا الاطار الذي يسابق الزمان والقدر ، وهو ماثل في مكانه لا يحيد .. ثم هدأ الاطار قليلاً .. واستقرت الكرة بعد لحظات على الرقم المنتقى .. فابتسم ابتسامة خفيفة اعقبت صياح اللاعبين جميعاً ، وعرّض البسمة وعمقها وطولها ، احتفالاً بهذه الثروة التي هبطت من السماء ، دون ان تنقصها الريح أو يحتجزها السحاب . وتأمل بعينين فرحتين ، حديقة حلمه النضر وكيف ينتشر فيها الربيع ، عجلان الخطى ، بطلته وعبيره ومياسة قده ، ثم رأى للحال امه وكيف تريد ان تندب وتنشج وتضرب رأسها بحائط لا يتداعى ، ضربات ثقالاً ، لتشجه حال علمها بسرقة المال غير المتواضع من الصندوق الزري .. وأراد ان يسرع بالخروج من النادي ، ولكنه رأى عيوناً لا تعد ، تصوب نظراتها نحوه ، تريد ان تخترق صدره لتطعن قلبه ، ثم تمزق جيبه المنتفخ بالفيش وفيه كل ما ربحه الليلة . وسرب الى صدره المتعب أكثر من سحابة عطر ، فرشت ماءها على اكتاف الحسان وزنودهن ، فكانت نظراتهن نسيج وحدها ، لانها أشبه بخيوط حريرية ، أردن ان يرتقن بها جروح نظرات الرجال الحاسدة ، حتى ولو كانت نظرات النساء حاسدة في اكثر احيانها .

واتجه الى الصندوق الحديدي الضخم . وعليه سمت الطبيب أو بالحري سمت طالب في كلية الطب .. الرأس المملوء بالعلم ، وقد انحنى انحناءة بسيطة ، والنظرة المستقرة التي لا لجج فيها ، والخطوات التي قدت من صخرة صماء قد فلقها غصن ورد طري.

وأبدل له امين الصندوق كل ما يحمل من فيش ، باوراق عديدة من ذوات المئة ، وفي حلقه غصة لهذا المال الذي يضيع بدداً في جيب زبون جديد ، قد لا يرونه بعد اليوم..

واستقل سامي سيارة اخذها لخاصته . انها المرة الاولى بعد ان افلس ابوه ، يركب فيها سيارة مستقلة وحده .. لقد سئم ركوب الباصات العامة .. ان فيها كثيراً من الناس الذين لا تحبهم ولا تحب ان تراهم ، وفيها الكثير من المرضى بالسل ، وكل ما قد خلق الله من امراض وبلايا لانسانيته المعذبة .. ووقف التكسي تجاه باب العمارة .. وترجل سامي ناقداً السائق مبلغاً طيباً .. ووقف امام باب المصعد ، وصاح بالعامل ، فلم يستجب له احد .. انها الواحدة بعد منتصف الليل .. واخذ يصعد الدرج .. ولم يمض فيه .. حتى سمع وقع خطى تصعد الدرج خلفه .. وما هي الا برهات حتى اجتازه بعضها ، وقصر عنه بعضها ، فاذا به اسير حلقة جبارة من اذرع قوية ورؤوس كبار ، واكتاف عراض ، سترت بالبسة سود وقمصان بيض منشاة ..

انه لم يتذكر غير ذلك .. انه يتذكر شيئاً تافهاً .. لقد سألوه عن اسمه ، وعمله ، فنهرهم .. فتلقى لكمة قوية من يد احدهم على عينه اليسرى طرحته ارضاً ، وافقدته وعيه . لم يتذكر كيف قام بعد ساعات لا يعرف عددها ، إلى فراشه وكيف نام؟ ان ذلك كله قد حدث البارحة .. ان هذا الشريط الذي استعاد به حوادث السنين الماضية اوشك ان ينتهي به ، وهو يتمدد على فراشه وعينه اليسرى تكاد تسقط من محجرها .. وسقف الغرفة هو هو لم يتغير وكأنه لن يتغير في مقبلات السنين .. ولو تغير حال ساكنيه من يسر الى عسر ، ومن عسر الى يسر ..

ومد يداً باردة الى جيبه ، فلم يجد فيه سوى قطع فضية ، كانت في جيبه من قبل ان يدخل النادي ليل امس .. يا لهم من امناء ! ولكنهم اخذوا رأس المال ايضاً .. لقد اخذوا كل شيء حتى مستقبله ، كطبيب وكخادم للانسانية .

وقام قومة يائس — وبه رغبة الى النوم من جديد لا تقاوم — الى خزانة الطعام ، واخذ قطعة من البندورة ، فشرطها افقياً ثم وضع قطعة مسطحة منها ، على عينه اليسرى ، ثم لف عليها قطعة من الشاش ، وذلك حسب وصفة بلدية ناجحة سمعها مرة من امه التي ذهبت اول امس في زيارة لاحدى قريباتها ولم تعد الى الآن.

وعاد فتمدد على الفراش ونام.. نوماً عميقاً، من شدة التعب وكثرة ما استعاد من هذا الماضي الذي عاشه ثانية ، ودقيقة فدقيقة .. وإن كان لم يستطع ان يتعرف جيداً الى اسم الحديث :

ألص هو أم مقامر ؟. أم انه اللص المقامر معاً ؟.

حلب **علي بدور**